في جانب منه قولا ويسمعون فأنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله تعالى يقولون الشعر قال
فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر رضي الله عنه وإذا
أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك
فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمع وأبو بكر يقول فالتفت إلي النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشك فيه
وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة
وعند المذاكرة لأنهم يتجاورون في مقامات الصديقين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد
ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع فقيل له يؤتى به يوم القيامة في جملة حسناتك
أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبيه باللغو قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله
باللغو في أيمانكم هذا ما نقل من الأقاويل ومن طلب الحق من التقليد فمهما استقصى تعارضت
عنده الأقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا إلى بعض الأقوال بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي أن
يطلب الحق بطريقه وذلك إنما يكون بالبحث عن مدارك الحظر والإباحة كما سنذكره

بيان الدليل على إباحة السماع اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه
وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس على
المنصوص وأعني بالنص ما أظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله أو فعله وبالقياس المعنى
المفهوم من ألفاظه وأفعاله فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول
بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس
ويتضح ذلك في جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا
كافيا في إثبات هذا الغرض لكن نستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعا على إباحة السماع
أما القياس فهو أن الغناء اجتمع فيه معان ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فإن فيه
سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم **الطيب**
ينقسم إلى الموزون وغيره والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار وإلى غير المفهوم كأصوات
الجمادات وسائر الحيوانات أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي أن
يحرم بل هو حلال بالنص والقياس **أما القياس** فإنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك
ما هو مخصوص به وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك وفي مدركات تلك الحاسة

ما يستلذه

ما يستلذه فلذة البصر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة
سائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة **وللشم** الروائح الطيبة
وهي في مقابلة الأنتان المستكرهة **وللذوق** الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة
والحموضة وهي في مقابلة المرارة المستبشعة **وللمس** لذة اللين والنعومة والملاسة
وهي في مقابلة الخشونة والضراسة **وللعقل** لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة
فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة
كنهيق الحمير وغيره فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها
وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده إذ قال تعالى
يزيد في الخلق ما يشاء فقيل هو حسن الصوت وفي الحديث ما بعث الله عز وجل نبيا إلا حسن الصوت
وقال صلى الله عليه وسلم لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة
إلى قينته **وفي الحديث** في معرض المدح لداود عليه السلام أنه كان حسن الصوت في النياحة على
نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الجن والإنس والوحش والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه
أربعمائة جنازة وما يقرب منها في الأوقات **وقال** صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري
لقد أعطي مزمارا من مزامير آل داود وقول الله عز وجل إن أنكر الأصوات لصوت الحمير
يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز أن يقال إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون في
القرآن للزمه أن يحرم سماع صوت العندليب لأنه ليس من القرآن وإذا جاز سماع صوت
غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة وإن من الشعر لحكمة
فهذا نظر في الصوت من حيث إنه طيب حسن **الدرجة الثانية** النظر في الصوت
الطيب الموزون فإن الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت
موزون غير مستطاب والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة فإنها إما أن تخرج من جماد
كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره وإما أن تخرج من حنجرة
حيوان وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقماري وذوات السجع
من الطيور فهي مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها
والأصل في الأصوات حناجر الحيوانات وإنما وضعت المزامير على صور الحناجر
وهو تشبه للصنعة بالخلقة وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)